مأساة نينوى/دراسة تاريخية
في ضوء روايات العهد القديم والنصوص المسمارية

م. رافد كاظم كريدي
كلية التربية / جامعة القادسية

المقدمة :

يكاد لا يخلو أي سفر من أسفار التوراة من وجود " الراوي التاريخي – الديني " ، الذي جعل نفسه وسيطا أو وحيا يتكلم على لسان أنبياء بني إسرائيل تارة وعلى لسان الرب العظيم تارة أخرى . وهو الذي افرغ الكثير من نصوص التوراة من محتواها الديني ووظيفتها الشرعية ، مما عرّضها لكثير من الانتقادات والإشكالات ، لان هذا الراوي صور أن الرب هو الذي يسير مركب اليهود ويرسم لهم طريق الحياة والموت كيف يشاء . وهذا ما لفت انتباهنا إلى دراسة موضوع " مأساة نينوى في العهد القديم " . لان هنالك روايات ونبوءات وردت في العهد القديم تخص مدينة عظيمة كنينوى التي ازدهرت وصارت عاصمة للإمبراطورية الآشورية الحديثة وبخاصة ما بين ٧٠٥ – ٦١٢ ق . م

لقد تركز اهتمامنا في دراسة هذا الموضوع على تتبع الأحداث التاريخية قبل سقوط نينوى ثم حددنا أربعة أسفار من الكتاب المقدس وهي اشعيا ويونان وناحوم وصفنيا لما لها من صلة مباشرة بالموضوع . واعتمدنا على نسخة الكتاب المقدس في طبعتها الأولى سنة ١٩٩٥ م . في إصدارها الثاني . وقد تكشف لنا عدم وجود تطابق بين هذه النسخة والنسخ الأخرى المتداولة عند اليهود اليوم ، وخير دليل على ذلك أنها لا تتطابق مع النسخة المطبوعة سنة ١٩٧٠ م رغم أن كلتيهما معتمدتين من قبل جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأوسط . ولمسنا أن الذريعة التي تقدمها دور النشر المعنية بهذا الموضوع لا يمكن تبريرها بأنها تريد من ذلك مسايرة التطور وعصرنه مفردات اللغتين العربية والعبرية لتقريب المعنى للقراء . وللوصول إلى حقيقة الأحداث عن سقوط نينوى ارتأينا ان نعقد مقارنة بينها وبين نصوص المكتبة المسمارية لتبيان طبيعة الاختلاف في الروايات المتعلقة بمأساة نينوى وأهلها . كما لوحظ أن الكاتب التوراتي تمادى وتحدث جزافا باسم الرب ولم يكن بالضرورة شاهدا أو معاصرا لتلك الأحداث ، بل نقلت له شفاها . ولهذا تباينت تفاصيلها من سفر إلى آخر .

قسمت الدراسة إلى ثلاثة محاور ، فالأول اختص بدراسة الأحداث السياسية التي سبقت سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق . م ، والثاني تم التطرق فيه لأبرز النصوص التي جاءتنا في الأسفار الأربعة المشار إليها آنفا ، أما المحور الثالث فقد وظف لتقديم ترجمة كاملة للنصوص المسمارية المتعلقة بالأحداث التي سبقت وأعقبت سقوط نينوى أي ما بين ٦١٦ – ٦٠٩ ق . م وذلك لمقارنتها مع طبيعة العرض التوراتي . وانتهت الدراسة بذكر ابرز النتائج التي توصل أليها الباحث .

المحور الأول : الأحداث السياسية التي سبقت سقوط نينوى عام ٦١٢ ق.م

من المعروف أن الإمبراطورية الآشورية واجهت مشاكل جمة في الداخل والخارج وأدت إلى سقوط ابرز عاصمتين لها وهما آشور ، العاصمة الدينية عام ٦١٤ ق.م على يد الميديين الفرس ، بزعامة كي اخسار ، وتلتها بعامين نينوى التي أسقطها التحالف الميدي – الكلدي عام ٦١٢ ق . م [١]

ومما خيب آمالنا حال دخولنا إلى مكتبة النصوص المسمارية هو النقص الكبير الحاصل في الوثائق الآشورية والمتعلق بالسنوات الاثني عشر الأخيرة من حكم الملك آشور بانيبال ٦٦٨ – ٦٢٧

ق . م . وهذا يعني أن حقائق كثيرة عن هذه السنوات الحرجة والحساسة من عمر هذه الإمبراطورية قد اختفت تفاصيلها وجعلت معرفتنا وفهمنا لها أمرا صعبا ، لاسيما أن هذه السنوات شهدت تطورات سياسية وعسكرية لا يستهان بها ، فبعد وفاة هذا الملك الشهير حصلت مشكلة كبيرة حول العرش . وكان الطرف الأول فيها هو احد أبنائه الذي كان يعد الوريث الشرعي لأبيه وهو آشور – اطل – ايلاني ٦٣٠ – ٦٢٤ ق . م ، أما الطرف الآخر فكان شقيقه المتمرد سين – شار – اشكون ٦٢٤ – ٦١٢ ق . م . ليس هذا فحسب ، بل ان احد قواد الملك الوريث وكان حاكما في بابل والمدعو سين – شوم – ايشر هو الآخر تمرد وأراد الاستقلال في بابل ولكن محاولته باءت بالفشل .[٢]

لكننا في الوقت نفسه ، لا نواجه صعوبة مماثلة أثناء تتبعنا للوثائق البابلية في دراسة الأحداث السياسية التي رافقت حكم الملك البابلي نبوبلاصر وبالأخص السنوات الأخيرة التي سبقت سقوط نينوى ما بين ٦١٦ – ٦١٢ ق . م . فقد تمكنا من الحصول عليها واشرنا إليها في موضعها المخصص لها في هذه الدراسة . لكننا لا ننكر حصول تصدع وتهشم كبير في نصوصها . وقد بذل الباحثون جهودا في ترميمها والتحقق منها . بيد أننا لا بد من الرجوع قليلا إلى الوراء لتتبع المشاكل التي قادت إلى هذا التدهور السريع لبلاد اشور ولسقوط العاصمة نينوى .

لقد كان للمشاكل الداخلية آثارا سلبية لا يستهان بها أرهقت بلاد آشور بأكملها ومن بينها " المشكلة البابلية " ، ونعني بذلك تمرد شمش شم ــ اوكن ، حاكم بابل وشقيق الملك اشور بانيبال ، لأنه لم يعترف بشرعية أخيه في الحكم . وقد انتهى الأمر به محترقا بنيران القصر البابلي على اثر هجوم قاده شقيقه المذكور على بابل عام ٦٤٨ ق . م .[٣] ثم أعقب ذلك تعيين حاكم جديد في بابل ويدعى قندلانو ٦٤٧ – ٦٢٧ ق . م . ولم يكن هو الآخر مخلصا في ولائه لبلاد آشور ، اذ سرعان ما أعلن تمرده مطالبا بالاستقلال بعد وفاة آشور بانيبال .[٤] . ناهيك عن المشكلة التي حدثت بين آخر حاكمين آشوريين خلفا آشور بانيبال والتي مر ذكرها انفا وقد انتهى عهدهما بسقوط نينوى عام ٦١٢ ق . م . مما أدى إلى تراجع الآشوريين إلى مدينة حران * يقودهم أشور ابلط الثاني ٦١١ – ٦٠٨ ق . م والذي اخذ يطالب بحقه في العرش هناك ، استنادا الى ما ورد في الوثائق البابلية والتي أشارت إلى طلبه المساعدة من مصر .[٥] . التي تشكلت فيها حكومة جديدة بزعامة بسماتك الأول (الأسرة السادسة والعشرون)

كما لا يمكننا تجاهل المشاكل الخارجية التي لولاها لما تفاقمت المشاكل الداخلية وعصفت ببلاد اشور . فالحروب الطويلة مع مصر وفي بلاد الشام وجهات أخرى كلها عوامل انهكت الاشوريين وجعلت بلادهم صيدا سهلا لأعداء جدد برزوا على المسرح السياسي انذاك . فقد تطورت قوة المصريين بعد قيام السلالة السادسة والعشرين بزعامة الفرعون بسماتك الاول الذي تمكن من الوصول إلى بلاد الشام واحتلال مناطق واسعة هناك مابين ٦١٠ – ٦٠٩ ق . م [٦] . وكانت حجته في ذلك هي مساعدة الآشوريين في مدينة حران . كما استغل نبوبلاصر البابلي الذي كان زعيما لسلالة بلاد البحر في جنوب العراق فرصة انشغال الآشوريين في خضم تلك المشاكل الداخلية والخارجية ، واخذ يتوسع في وسط وجنوب العراق مابين ٦٢٥ – ٦٢١ ق . م .

لقد كان هذا الملك زعيما لقبيلة كلدو الآرامية المتنفذة في وسط وجنوب العراق . وقد ساعدته ظروف الفتنة المشار إليها والتي اندلعت بين الأخوين الآشوريين اللذين حكما بعد آشور بانيبال حول من يخلفه في الحكم . فنصب نبوبلاصر نفسه ملكا على بابل بعد ان تلقى دعما من سين– شار – اشكون الذي توسع واحتل مدينة نيبور (نفر) [٧] . وقد تمكن هذا الزعيم الآشوري من الإطاحة بأخيه في نينوى وتنصيب نفسه ملكا على البلاد [٨] . كما أعقب ذلك انفصال عرى التحالف بين نبوبلاصر وبين هذا الحاكم الآشوري ، لأن الأول تلقى دعما من الملك الميدي كي اخسار الذي

وحد بلاد ايران واخذ يتطلع للانقضاض على بلاد آشور.وبالفعل تؤكد الوثائق البابلية ان هذا الملك تمكن من إسقاط مدينة آشور عام ٦١٤ ق.م .

وحدث في هذا الوقت تحالف بين الملك البابلي والملك الميدي وتم عقد معاهدة صداقة وتعاون مشترك للتحرك على مدينة نينوى لإسقاطها واقتسام الغنائم بين الطرفين . كما تم حينها تزويج نبوخذنصر الثاني من ابنة الملك الميدي . وانتهى الأمر بسقوط نينوى عام ٦١٢ ق . م بعد هجوم ميدي – كلدي عليها وبمساندة من السيشيين [٩] .وبهذا شكل نبوبلاصر سلالة في بابل عرفت بسلالة بابل الحادية عشر ودام حكمها ما يقارب القرن ٦٢٧ – ٥٣٩ ق . م وتفيد هذه الوثائق أن الطرفين الميدي والكلدي تقاسما الغنائم بينهما بعد سقوط نينوى وعاد كل منهما إلى موطنه . لكن الملك البابلي فوجئ عام ٦١٠ ق. م بظهور طلائع من الآشوريين في حران بزعامة آشور أبلط الثاني وتحديها للملك نبوبلاصر . فقاد على أثرها هجوما على حران وأبعدهم منها إلى داخل سوريا وترك مهمة حمايتها لإتباعه السيشيين (الاشقونيين) ، وربما ترك معهم إحدى فرقه العسكرية على ما نفهم في الوثائق البابلية . ولكن شن الآشوريون والمصريون مجددا هجوما مشتركا على مدينة حران عام ٦٠٩ ق . م وتمكنوا من إبادة القوات التي تركها نبوبلاصر هناك . فما كان من الملك البابلي إلا التحرك على وجه السرعة إلى هذه المدينة لإنقاذ قواته . ولسنا متأكدين من نتيجة المعارك التي جرت بين الطرفين ، وهل أن الصراع حسم لأحد الطرفين أم بقيت المناوشات مستمرة بينهما مدة من الزمن ؟ وتفيد الوثائق أن نبوبلاصر دمر في حملته تلك بلدة Izalla وأعقبها بحملة عسكرية على اورارتو (أرمينية) ولسنا متأكدين أيضا من نتيجتها [١٠] .

المحور الثاني : روايات العهد القديم:أولا : سفر اشعيا

تناول هذا السفر رؤيا اشعيا بن أموص التي رآها على يهود اورشليم في عهد كل من عزيا ويوثام واحاز وحزقيا [١١] . وهو أول أسفار الأنبياء التي تمثل القسم الرابع من العهد القديم . ويوجد في هذا السفر ست وستون إصحاحا . وكل ما يعنينا منها هما الإصحاحان العاشر والحادي عشر . فالعاشر ينقل تهديدا من الرب العظيم إلى بلاد آشور يقول فيه " ويل لآشور قضيب غضبي وعصا غيضي " . ومن جانب آخر يفصح هذا الإصحاح أن الرب قرر معاقبة ملك آشور لأنه تفاخر بقدرته على إخضاع كل شعوب الأرض ولم يذكر مساعدة الرب له [١٢] .

أما الإصحاح الحادي عشر فيقدم لنا صورة أخرى لإرادة (اله إسرائيل) التي أراد أن يجمع بها شتات اليهود المنفيين وغيرهم من بقاع الأرض المختلفة ويعيدهم إلى فلسطين ، لأنه رأى بأن مدة عقابهم قد استنفذت وأنهم تابوا وندموا على ما فعلوه من خطايا في نظر الرب وبهذا الصدد نقرأ :

" وفي ذلك اليوم يعود الرب فيمد يده لافتداء بقية شعبه في اشور ومصر وفتروس وكوش وعيلام وشنعار وحماة وفي جزر البحر . ويرفع الرب راية في الامم ليجمع حولها المنفيين من بني اسرائيل والمسبيين من بيت يهوذا في اربعة اطراف الارض . " [١٣]

ثانيا : سفر يونان

يحتوي هذا السفر على أربعة إصحاحات . ويبدأ الأول منها بمقدمة تتعلق بمعصية النبي يونان (يونس عليه السلام في المصادر الإسلامية) لأمر ربه عز وجل بعدما أمره بالذهاب إلى مدينة نينوى لكنه أبى أن يفعل وذهب إلى مدينة يافا قاصدا مدينة ترشيش . ثم صعد في السفينة المتجهة إلى هناك فحرك الرب ريحا شديدة عصفت بالبحر وسببت زوبعة كادت أن تغرق السفينة ومن فيها ونقرأ بهذا الخصوص : [١٤] .

" كانت كلمة الرب إلى يونان بن اماي قال : " قم اذهب إلى نينوى ، المدينة العظيمة وناد بأن أخبار شرورها صعدت ألي " . فقام يونان وذهب ، لا الى نينوى بل الى مدينة ترشيش هربا من وجه الرب فنزل الى يافا فوجد سفينة سائرة الى ترشيش فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب مع ملاحيها

إلى هناك بعيدا من وجه الرب . فحرك الرب ريحا شديدا على البحر فثارت زوبعة عظيمة كادت تحطم السفينة... وتنتهي رواية هذا الإصحاح بان الملاحين قذفوا بهذا النبي في البحر فتوقف عنفوانه. ومن ثم وقع في فم حوت عظيم ابتلعه وبقى في جوفه مدة ثلاثة أيام .

ثم يكمل الإصحاح الثاني قصة هذا النبي الذي ندم وتاب وصلى وسبح لله وهو في جوف الحوت فعفى عنه وأمر الحوت بان يقذف به على ساحل البحر . فزال عنه الغم واطمئن قلبه . وكان يونان حينها يدعو ربه بإنزال العذاب على أهل نينوى لعدم تصديق دعوته [١٥] . ثم نواصل تكملة القصة في الإصحاح الثالث إذ ورد انه أطاع أمر ربه تبارك وتعالى حينما أمره بالذهاب إلى نينوى ثانية لدعوة أهلها وكانت مدينة عظيمة . فسار نحوها مدة ثلاثة أيام . واخذ يدعو أهلها يوما كاملا فلم يستجيبوا له فكان تهديده لهم انه " بعد أربعين يوما تدمر نينوى " . فآمن أهلها بالله وصاموا ولبسوا مسوحا بأجمعهم [١٦] .وما أن وصل الخبر إلى ملك نينوى (؟) حتى امن هو الآخر ووجه رعيته بالصيام والاستغفار لله وطلب العفو . فقبل الله دعائهم وتسبيحهم واجل عقابهم [١٧] وكان عددهم بحسب الإصحاح الرابع أكثر من مائة وعشرين ألف نسمة .

أما الإصحاح الرابع من سفر يونان فينقل لنا شكوى هذا النبي لربه وغضبه على أهل نينوى وبالأخص بعدما تحولت إرادة الله عن هلاكهم وتدمير مدينتهم فراح يطلب الموت ويفضله على الحياة . ويرد أيضا انه خرج من المدينة وجلس بعيدا عنها ليراقب ما سيحل بأهلها . فنصب مضلة هناك لتقيه حر الشمس . لكنه فوجئ بوجود نبات اليقطين يرتفع فوق رأسه ليحميه من حر الشمس ففرح كثيرا . لكن هذا الفرح لم يدم طويلا لان الرب شاء بأن يزيله في الغد فأصابت الشمس رأس هذا النبي وارهقته ولهذا فضل الموت على الحياة . فدار حوار غيبي بينه وبين بارئه اذ قال الله له "أيحق لك أن تغضب من اجل اليقطينة ؟ " [١٨] .

ولو تأملنا هذه الروايات التي ينقلها هذا السفر لوجدناها تنطبق كليا مع قصة النبي يونس بن متي عليه السلام الواردة في مصادرنا الإسلامية كالقرآن الكريم وكتب التفسير والأحاديث المنقولة عن آل البيت عليهم السلام أجمعين فهو المقصود في قوله تعالى " **وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه** " [١٩] . وربما كان غضب يونان ناتجا من عدم وقوع الهلاك بقومه الذين عصوه حينما دعاهم للإسلام، أي الاسلام لرب العالمين عز وجل على ملة ابراهيم عليه السلام التوحيدية ، فضلا عن عدم تحقق نبوءته لهم . وتذكر الروايات التي جاءتنا في المصادر الإسلامية أن قوم يونس كان فيهم رجلان احدهما عابد والأخر عالم فالعابد كان يحثه على دعوة الله لهلاك قومه أما العالم فكان يخالفه في الرأي لأنه رأى فيهم من لا يستحق ذلك الهلاك . ولما خرج يونس مع العابد قبيل موعد العذاب أشار العالم على أبناء المدينة بأن يخرجوا بالدعاء والتوسل إلى الله ليصرف عنهم العذاب .

وحينما عاد النبي يونس إلى نينوى بعد موعد الهلاك لينظر كيف هلك أهلها ، وجدهم يزرعون أرضهم ويعملون كما لو لم يحصل لهم أي شيء . فعلم أن الله جل وعلا قد صرف العذاب عنهم . فغضب كثيرا وخرج إلى ساحل البحر فوجد سفينة تروم المسير وصعد فيها . ويرد في الخبر أيضا أن الله سلط عليهم حوتا عظيمة حبست سفينتهم في البحر ، فعلموا أن فيهم من هو عاص لأمر الله . ولما تساهموا وقع الأمر على يونس فالقوا به في البحر، فوقع في فم ذلك الحوت . وعلى هذا الأساس يرد قوله تعالى " **فساهم فكان من المدحضين** " [٢٠] . وقيل أيضا أن بعض اليهود سألوا أمير المؤمنين علي عليه السلام ذات يوم عن سجن طاف أقطار الأرض بصاحبه ؟ فأجابهم انه الحوت الذي حبس يونس عليه السلام في بطنه فدخل في بحر القلزم ثم خرج إلى بحر مصر ثم دخل في بحر طبرستان وبعدها دخل نهر دجلة . ثم سار تحت الأرض حتى لحق بقارون الذي هلك في أيام النبي موسى (ع) . وفي تلك الأثناء سمع قارون تسبيح النبي يونس من جوف الحوت . وكان قارون

وقتها يتعذب على يد ملك موكل عليه ، فدار حوار بينه وبين يونس تضمن سؤال الأول عن قوم آل عمران . فأجابه الأخير بأنهم زالوا وزالت معهم أمم وأقوام كثيرة . فشكر قارون ربه وتأسف على ما سمعه من خبر تلك الأقوام . فأزال الله عنه عذاب الدنيا . وما أن علم النبي يونس بذلك حتى راح ينادي ربه وهو في الظلمات ، أي ظلمات الليل وظلمات البحر وظلمات جوف الحوت " **أن لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** " . فكان من نتيجة ذلك النداء أن استجاب الله له وأمر الحوت بأن يرميه على الساحل [٢١] . وهناك رواية أخرى تقول أن المأمون العباسي سأل الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام عن قوله تبارك وتعالى " **وذا النون إذ ذهب مغاضبا** " ، فأجابه عليه السلام انه النبي يونس بن متي الذي ذهب مغاضبا لقومه لأنه علم واستيقن أن الله لن يضيق عليه رزقه (أي لن يحجبه عنه) . فنادى ربه وهو في تلك الظلمات متوسلا بأن يعفو عنه لأنه انشغل بأمور دنياه أكثر من انشغاله بأمور أخرته ، إذ تفرغ للعبادة أكثر وهو في بطن الحوت . وهذا التأويل هو الراجح الذي يأخذ به إتباع المذهب الشيعي من الأمامية . ويقال أن الإمام الباقر عليه السلام قال أن النبي المذكور هنا هو يونس عليه السلام الذي غضب على أمر ربه ثم تاب وندم حينما علم بأن رحمة الله تسبق غضبه فلا يعذب المرء بجريرة غيره [٢٢]

ثالثا : سفر ناحوم:

يتكون هذا السفر من ثلاثة إصحاحات . وهو احد أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرا . ونجد في الإصحاح الأول مقدمة تقول " وحي على نينوى . سفر رؤيا ناحوم الالقوشي ." ثم تتبعها مقولة عن غضب الرب على نينوى . [٢٣] . وتمجد المقدمة اله إسرائيل وتقول بأنه سيكسر شوكة آشور ويعز شعبه وفيها نقرأ : " مع ان الآشوريين أقوياء وكثيرون .فسيقطعون ويبادون .أذللتك ياشعبي فلا أعود أذلك . بل اكسر ألان نير آشور عنك واقطع قيودك . " [٢٤]

يتبين لنا مما سبق أن الكاتب صب كل غضبه على آشور ونينوى جاعلا مشيئة الرب سببا في ذلك حتى لو كان في أسلوبه هذا تطاولا على قدسية ومقام الرب العظيم ونقرا في هذا الإصحاح أيضا مقولة تذكر :

" وهذا ما امر الرب على الاشوريين : لا يكون لكم نسل يحمل اسمكم فيما بعد ومن بيت الهكم ازيل التماثيل والمسبوكات واجعل قبوركم كأنها لم تكن " [٢٥]

ووجدنا في الإصحاح الثاني تعبير عن حالة الفرح والسرور التي انتابت اليهود عموما بنبوءة ناحوم عن تدمير نينوى وهلاك أهلها [٢٦] . ولا يخلو هذا السفر من المبالغة والألفاظ الدخيلة التي تبتعد عن جوهر الواقعة المذكورة ،لاسيما أننا لا نجد ما يشابهها في الوثائق المتوفرة لدينا وخاصة البابلية منها والتي عرضت في سياق هذا البحث . والأغرب من ذلك إن كاتب هذا السفر جعل الرب خصيما لنينوى وأهلها بقوله أنها أضحت مرتعا للأسود والوحوش الضارية التي لا يسلم المرء على نفسه منها إذا مر بنينوى . وصور الكاتب حال أهلها بالمأساوي لأنهم نصبوا العزاء والعويل في كل ضاحية من المدينة إذ يقول النص :

" الملكة تنساق إلى السبي . جواريها يتنهدن . كصوت الحمام ويضربن على صدورهن .نينوى كبركة جف ماؤها . قفوا قفوا . فلا يلتفت احد . انهبوا الفضة . انهبوا الذهب. لا نهاية للذخائر والنفائس من كل شيء ثمين. نينوى خلا ء وقفر خراب . ... ها أنا خصمك يا نينوى ، يقول الرب القدير ... " [٢٧]

ومن الجدير بالذكر إن الإصحاح الثالث منه يخبرنا بأن مدينة نينوى امتلأت بجثث القتلى وسفكت الدماء وشاع فيها الخراب والدمار عام ٦١٢ ق . م أبان الهجوم الميدي – الكلدي عليها حالها حال أي مدينة تتعرض للغزو . وقد تطابق النص التوراتي مع الوثائق البابلية رغم وجود فارق في طريقة العرض والتفاصيل بين المصدرين التوراتي والبابلي . ليس هذا فحسب ، بل ان النص

التوراتي يتباين أحيانا من نسخة إلى أخرى ومن سفر إلى آخر . فعلى سبيل المثال نقرأ في سفر ناحوم من الكتاب المقدس المطبوع في لبنان عام ١٩٧٠ الرواية الآتية :

" ويل لمدينة الدماء ، كلها ملآنة كذبا وخطفا ، لا يزول الافتراس ، صوت السوط وصوت رعشة البكر وخيل تخب ومركبات تقفز وفرسان تنهض ولهيب السيف وبريق الرمح وكثرة جرحى ووفرة قتلى ولا نهاية للجثث يعثرون بجثثهم " (٢٨)

أما النسخة التي اعتمدت نصوصها في عموم هذا البحث فهي المطبوعة في لبنان عام ١٩٩٥ والتي اجيزت من قبل جمعية الكتاب المقدس في الشرق الاوسط وفيها ورد بعض الاختلاف في الترجمة من النص العبري عن هذا الموضوع لاسيما اننا نقرأ فيها أسلوبا مغايرا يقول :

" ويل لمدينة الدماء ، يملأها الغدر والرعب ولا يجول فيها طرف . ها صوت السياط – وجلجلة العجلات ووقع حوافر الخيل ، وخضخضة المركبات . ها وثوب الفارس ،ولمعان السيف وبريق الرمح ، وكثرة القتلى ، وتراكم الجثث التي بها يعثرون . ذلك كله لكثرة زنى الزانية ، تلك الفاتنة الجمال وصاحبة السحر . تخدع الأمم بزناها والعشائر بسحرها."(٢٩)

أن هذا الاختلاف في مضمون وسياق الترجمة يدلل على ان النص التوراتي لم يسلم من التغيير والتحريف . وقد كان للكاتب والمترجم والمحرر والناشر دورا في إظهاره بهذا الشكل الذي جعله عرضة للنقد والتشكيك في مصداقية رواياته . ناهيك عن ما أضيف إليه من أساطير وخرافات وتنبؤات وأقوال للحكماء والعرافين . فعلى سبيل المثال يذكر النص المذكور ان نينوى كانت مثالا للزنى لان الرب اراد ان يفضحها ويكشف عورتها للامم ليشمت الاعداء بها . كما يصف هذا الاصحاح حالة نينوى اثناء الهجوم عليها وبعده بقوله : " خربت نينوى ، فمن يرثي لها ؟ ومن اين اطلب لك معزين ؟ " (٣٠) .

ثم يقارن النص التوراتي بين نينوى الخربة وبين طيبة التي كانت عاصمة عظيمة لمصر العليا لكنها دمرت بعد ان قضى عليها الاشوريون واحتلوها ابان حكم الملك آشور بانيبال ٦٦٨ – ٦٢٧ ق . م ، قبل ما يقرب من خمسين عاما . لقد كان هذا الملك يتفاخر في عاصمته نينوى بعدما قضى على التحالف المصري الذي شكله الفرعونين نيخو الأول وطهراقة الأثيوبي وأمراء مصريين آخرين . وتجسد نجاح هذا الملك بأن جعل مصر كلها تابعة له بعد أن كانت تحكم من قبل الأسرة النوبية (السلالة الخامسة والعشرين). لقد تفوقت بلاد آشور آنذاك على مصر والنوبة ولاسيما أن ملك آشور المذكور تمكن من اسر كبار حكام طيبة بمن فيهم الفرعون نيخو وجيء بهم إلى عاصمته نينوى . لكنه أعاد هذا الفرعون إلى مصر بعدما التمسه واقسم له بالطاعة والولاء فجعله حاكما على منفس وسايس

أما طهراقة الحبشي فقد هرب واختفى في الجنوب . ولهذا ، عد المؤرخون آشور بانيبال بأنه من أشهر الملوك الآشوريين على الإطلاق لكفاءته ومهارته في إدارة الدولة في مختلف الميادين ، فضلا عن اصلاحاته العمرانية وثقافته التي جعلته يؤسس أضخم مكتبة قديمة قاربت موجوداتها الخمسين ألف لوحة من الطين المفخور والتي حفظت بجوار معبده في نينوى (٣١) .

وقد وردت تفاصيل هذه الحملة في السنة الأولى من حكمه وكانت مدونه على اسطوانة يعود الفضل في العثور عليها للأثاري راسام سنة ١٨٧٨ م . في أطلال تلال قوينجق بمدينة نينوى وعرفت بأسمه (٣٢) وحينما حاول حكام مصر التنصل من تعهداتهم مع بلاد آشور وظهر تدخلهم السافر في بلاد الشام ، جهز اشور بانيبال حملة عسكرية اخرى على مصر ودخل العاصمة طيبة واحتلها وشكل فيها حكومة جديدة تابعة له . (٣٣) ولهذا نجد ان سفر ناحوم يحاول ان يربط بين حادثة سقوط طيبة (ثيبة في الترجمة العربية للتوراة ونو – أمون في النص العبري) وبين سقوط نينوى بيد اعدائها فيقول : " هل انتِ خير من ثيبة القائمة بين الأنهار؟..." . (٣٤) .

واستنادا إلى الوثائق البابلية والنص التوراتي الذي يذكره هذا السفر ، فقد اضطر الاشوريون الى الانسحاب من نينوى والتجمع في مدينة حران لان نينوى تعرضت الى هجوم كبير ، كما لجأ الآشوريون إلى طلب المساعدة من مصر حسبما يروي سفر ناحوم ويقول : " وأنتِ أيضا يا نينوى تحاصرين وتغلبين ومن العدو تطلبين العون " (٣٥) ويصف هذا السفر أيضا طريقة هروب الآشوريين من نينوى بأنهم كانوا كالنساء المذعورة (٣٦) لأن النيران أضرمت في المدينة وحلت بها كارثة ويذكر النص التوراتي : " سقمت عظامك فلا جبر لكسرك . كل من يسمع بخبرك يصفق عليك بالكفين . كيف لا ؟ وعليهم مر شرك الذي لا يحد " . (٣٧)

وخلاصة ما نفهمه من هذا العرض أن كاتب سفر ناحوم يقدم لنا واقعة سقوط نينوى بأسلوب اسطوري مأساوي ساخر ممزوجا بصبغة دينية تكاد تبتعد تارة وتقترب تارة اخرى من الحقيقة التاريخية التي روتها الوثائق البابلية . ونحن بدورنا وبعد ان عرضنا هذه الروايات وبينا ما نسجله عليها ، نترك للقارئ الكريم والمختص المتمرس خيار الحكم على هذه النصوص والروايات اما بعدها جزءا من مصادر دراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم كما يرى بعض المؤرخين او اعتبارها ضربا من الاساطير والقصص التي وان افتقرت الى الدليل الملموس الا انها لا تخلو من الفائدة التاريخية .

رابعا : سفر صفنيا :

يتكون هذا السفر من ثلاثة إصحاحات ، ويبدأ الأول بمقولة " هذه هي كلمة الرب التي كلم بها صفنيا بن كوشي بن جدليا بن امريا بن حزقيا ، في أيام يوشيا بن امون ملك يهوذا " . (٣٨) .

أما الإصحاح الثاني فيطالعنا بنبوءة تتكهن بفناء الشعوب المجاورة ليهوذا ومنها سكان غزة وعسقلان واشدود وعقرون وسكان ساحل البحر (الكريتيين) وارض كنعنان (فلسطين) . ولكي تحيا يهوذا ، صور الكاتب سيف الرب وكأنه أداة بيده يفني بها ما يشاء . حتى انه هدد سكان كوش (الحبشة) بالقتل والفناء . (٣٩) . ثم وجه الكاتب سيف الرب العظيم إلى آشور ونينوى ليبيدهما ويهلك من فيهما فيقول :

" ويمد الرب يده على الشمال ويبيد آشور . ويجعل نينوى مقفرة قاحلة كالصحراء ، تربض في وسطها القطعان وكل وحوش البر ، ويبيت على تيجان أعمدة خرائبها الغراب والقنفذ ، وتقيل في نوافذها البومة وعلى عتباتها الحرباء ... ، كل من يمر بها يصفر ويهز قبضته احتقارا " (٤٠)

وجاء في الإصحاح الثالث منه تعبير عن حالة الفرح التي عمت اورشليم وكل ارض صهيون لسماعهم خبر سقوط نينوى ونهاية بلاد آشور . ويزعم الكاتب أن الرب القدير تكفل بافتداء اورشليم وأهلها وبلم شمل يهود المنفى وإرجاعهم من الشتات إلى فلسطين . وهو يشاطر في هذا المنحى سفر ناحوم وبخاصة الإصحاح الثاني منه . ومن هنا يتبين لنا أن الكاتب هدد نينوى بالفناء والإبادة بأمر الله وجعلها بلدة أشباح ومرتعا للوحوش والقطعان وعلامة للاحتقار والسخرية ، ولم يفكر قط بكل العوامل التي أدت إلى سقوطها داخليا وخارجيا والتي نوهنا اليها في بداية هذه الدراسة (٤١) .

المحورالثالث :موجز الأحداث ٦١٦ – ٦٠٩ ق . م (طبقا إلى النصوص المسمارية)

– أحداث السنة العاشرة (٦١٦ ق . م) من حكم نبوبلاصر الممتد من ٦٢٦ – ٦٠٥ ق.م

روى البابليون أنهم حققوا انتصارا على الأشوريين والـ (Mannaeans) ، وتمكنوا من الاستيلاء على منطقة Qablinu بعد معركة جرت هناك في اليوم الثاني عشر من شهر آب . كما جردوا حملة عسكرية ضد Mane ، Sahiru و Balihu .

وفي شهر ايلول عاد نبوبلاصر بقواته الى بابل واستولى في طريق عودته على بلدة Hindanu وفي نفس العام وصل الجيشان المصري والاشوري الى Qablinu . وقد تجنب الدخول معهم في معركة . كما وقعت معركة في Madanu . انهزم فيها الآشوريون وتراجعوا إلى منطقة

الزاب الصغير. اعقبها عبور هذا الملك نهر دجلة للمرة الثانية عائدا الى مدينة بابل وحاملا معه غنائم الحرب.

ـ أحداث السنة الحادية عشر من حكمه (٦١٥ ق . م) .

في شهر ايار حاصر البابليون مدينة آشور لكن هجومهم عليها اخفق على ما يبدو . وتم رفع الحصار عن المدينة من قبل الجيش الآشوري . فهرب نبوبلاصر راجعا بقواته بمحاذاة نهر دجلة . ثم تحشد في مدينة تكريت . لكنهم حوصروا من قبل الآشوريين هناك لعشرة أيام ولكن من دون جدوى . أعقب ذلك انسحاب الملك البابلي من المدينة بعد ان رفع الحصار عنها .

وفي وقت لاحق من نفس العام وقع هجوم ميدي على منطقة Araphu الأشورية .

ـ أحداث السنة الثانية عشر (٦١٤ ق . م) .

في شهر آب بدأ الميديون حصارهم لمدينة نينوى وتم الاستيلاء على تربيصو Tarbisu ، (وهي قلعة شريف خان الحالية الواقعة على بعد خمسة أميال إلى الشمال الغربي من نينوى).(٤٢) كما فرضوا حصارا على مدينة آشور ، تمكن الميديون بعدها من احتلالها وتدميرها . وارتكبوا آنذاك مجزرة بقيامهم بقتل الأسرى في المدينة . وفي تلك الأثناء التقى الملك الميدي كي اخسار مع نبوبلاصر في مدينة أشور وتم حينها عقد تحالف بينهما. ثم عاد كلاهما إلى بلاده .

ـ أحداث السنة الثالثة عشر (٦١٣ ق . م) .

في شهر أيار أعلن ساحو Sahu تمرده على نبوبلاصر بمساندة من الأشوريين . وفي اليوم الرابع من شهر Sivan استولى نبوبلاصر على راحيلو Rahilu وحاصر Anan ، لكنه لم ينجح على ما يبدو(؟) انسحب الجيش الأشوري من دون أن يحقق أي انجاز عسكري يذكر .

ـ أحداث السنة الرابعة عشر (٦١٢ ق . م) .

التقى البابليون والميديون والسيشيون (الاشكوزيون) . ثم بدأوا التحرك باتجاه نينوى . وتمت محاصرتها لثلاثة أشهر . وحصلت خلالها ثلاث معارك بين الجانبين ما بين شهري(sivan – Ab) حزيران – آب .

تلا ذلك الاستيلاء على مدينة نينوى ولكن لا نعلم في أي يوم تحديدا . تلاها وفاة الملك سن–شار– اشكن وهروب الفرقة الآشورية المدافعة عن نينوى . وفي العشرين من شهر أيلول انسحب الملك الميدي من المدينة . ثم تم تقسيم غنيمة المعركة بين الجانبين في منطقة Nisibis فأستلم نبوبلاصر مقدمة الغنيمة في منطقة Rusapu في نينوى . ثم اخذ آشور– ابلط يطالب بالعرش الآشوري في مدينة حران.

ـ أحداث السنة الخامسة عشر (٦١١ ق . م) .

في شهر تموز وجهت حملة عسكرية بابلية إلى أعالي الفرات (بلاد آشور حاليا) . وتم خلالها إخضاع قبيلتين أو مدينتين (؟).وفي شهر Marches wan تم الاستيلاء على بلدة Rugguliti الواقعة في أعالي الفرات .

ـ أحداث السنة السادسة عشر (٦١٠ ق . م) .

في شهر أيار تقدم البابليون إلى أعالي الفرات (بلاد اشور) أعقب ذلك قيام الجيش البابلي بتحركات عسكرية غير حاسمة . ثم تحشد البابليون والسيشيون وتحركوا على مدينة حران (مركز تجمع الآشوريين الفارين من نينوى) . فأضطر أشور – أبلط وجيشه إلى إخلاء المدينة والتراجع إلى داخل سوريا . فدخلها البابليون والسيشيون . ثم ترك نبوبلاصر حامية عسكرية في المدينة وعاد إلى موطنه . فبقيت المدينة تحت تصرف السيشيين (انظر الأسطر ٥٨ – ٦٥ من اللوح المسماري الذي اوردنا ترجمته كاملة في سبعين سطرا تلي نشر هذا الموجز التاريخي للاحداث).

ـ أحداث السنة السابعة عشر (٦٠٩ ق . م) .

مابين شهري تموز وأيلول تقدم آشور أبلط بجيشه وبمعيته الجيش المصري الذي جاء لمساعدته باتجاه مدينة حران وشنوا هجوما مضادا بدؤوه بمحاصرتها . وتم أثناء ذلك إبادة الحامية البابلية الموجودة في حران . لكن الحصار الذي فرضه الآشوريون والمصريون على المدينة لم يكن موفقا (بحسب الوثيقة البابلية) لانه رُفع بعد وصول الجيش البابلي الرئيس الى هناك.

وفي غضون ذلك تقدم نبوبلاصر بقواته لإنقاذ ما تبقى من قواته العسكرية التي بقيت في مدينة حران ، فدمرت قواته بلدة Izalla . وأخيرا وجه حملة عسكرية على أرمينيا لكن نتيجتها لم تتأكد لدينا في النص ، بسبب التهشم الحاصل فيه . ولعلها كانت موجهه على المنطقة المتاخمة لأرمينيا (اورارتو) ، ويبدو أن هذا الملك قاد قسما من جيشه ورجع به إلى بابل أما القسم الآخر من الجيش فكان بقيادة ابنه وولي عهده نبوخذنصر ، إلا أن اللوح ينكسر ولا نعلم تحديدا المكان المقصود في تلك الحملة ولكنه لا يتعدى حدود أرمينيا وكان ذلك في السنة الثامنة عشر من حكم نبوبلاصر (٦٠٨ ق.م)[٤٣].

وقد نشر كاد Gadd ترجمة للنص المسماري المدون على وجهي اللوح المحفوظ في المتحف البريطاني برقم (B.M. 21 , 901) والذي يسجل حوليات الملك البابلي نبوبلاصر، مؤسس الدولة الكلدية (سلالة بابل الحادية عشر) . وتتكون هذه الترجمة من سبعين سطرا تشير إلى تحركات هذا الملك إلى أعالي الفرات ، والتي بدأها منذ السنة العاشرة من اعتلائه العرش في بابل (٦١٦ ق . م) [٤٤] . لقد تمكن من إلحاق أضرار وخسائر بالعديد من المدن والقصبات التي كانت من توابع الإمبراطورية الأشورية . ففي الوجه الأمامي من هذا اللوح نجد هذه التفاصيل :

١. في السنة العاشرة من عهد نبوبلاصر ، وفي شهر ايار تحديدا ، حشد هذا الملك جيشه وتحرك به إلى أعالي نهر الفرات .
٢. لم يقاومه أهالي مدن Saho و Hindanu . ووضعوا الجزية (الاتاوه) أمامه .
٣. وفي شهر آب ورد خبر للملك البابلي مفاده ان الجيش الاشوري كان في مدينة Qablinu . فتحرك لمقاتلتهم .
٤. وفي اليوم الثاني عشر من نفس الشهر قاتل هذا الملك الجيش الآشوري والحق به هزيمة قاسية ، فضلا عن الخراب الكبير الذي لحق ببلاد آشور .
٥. كما اسر عددا كبيرا منهم . أما The mannaeans الذين جاءوا لمساعدة الاشورين فقد تم ،
٦. أسرهم مع كبار زعماء بلاد آشور . وتم في ذلك اليوم السيطرة على مدينة Qablinu . كما وجه نبوبلاصر ، وفي ذات الشهر ،
٧. جيشه ضد مدن Mane ، ساحيرو Sahiru ، وباليحو Balihu . وتمكن من اسر عدد من أبناء هذه المدن .
٨. كما نقل من هذه المدن غنيمة حربية كبيرة ، وجردها من آلهتها . وفي شهر ايلول عاد ملك أكد (بابل) بجيشه ،
٩. وفي أثناء عودته إلى بابل استولى على مدينة Hindanu واخذ آلهتها ،
١٠. وفي شهر تشرين tisri لاحق الجيشان المصري والآشوري قوات الملك الاكدي إلى أن وصلا إلى مدينة Qablinu .
١١. (ولكن) لم يتمكنا من تحقيق الغلبة على قوات نبوبلاصر . فقام هو بالمقابل بمطاردتهم . وفي شهر آذار جرت بين الجيش الآشوري والجيش البابلي
١٢. معركة في مدينة Madanu ، الواقعة في منطقة Araphu .

١٣.تمكن الجيش البابلي من هزيمة الجيش الآشوري وتدميره وإجباره على التراجع إلى منطقة الزاب .
١٤.وتم حينها الاستيلاء على حميرهم وخيولهم واسر عدد كبير من
١٥.جيشهم ... وعبروا بهم نهر دجلة وأدخلوهم إلى مدينة بابل .
١٦.[في السنة الحادية عشر ، قاد ملك] أكد جيشه وتحرك به على شاطئ نهر دجلة . وفي شهر أيار حاصر مدينة آشور .
١٧.وفي اليوم (؟) من شهر Sivan هجم على المدينة ، لكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها . فجند ملك آشور جيشه ،
١٨.وطرده منها ولاحقه إلى مدينة تكريت ،
١٩.فأمر ملك أكد جيشه بالتحصن في قلعة تكريت ،
٢٠.فحاصرهم الجيش الاشوري هناك ،
٢١.وأخذ يهاجمهم لمدة عشرة ايام من دون ان يتمكن من استرجاع المدينة منهم . والحق الجيش البابلي ، الذي كان متحصنا هناك ،
٢٢.خسائر كبيرة بقوات الملك الآشوري . لذلك انسحب (؟) ملك آشور بجيشه وعاد الى موطنه .
٢٣.وفي شهر Marches wan اجتاح الميديون منطقة Arapha (وهجموا) على مدينة (---)

٢٤.وفي شهر آب من السنة الثانية عشر (هجم) الميديون على نينوى .....
٢٥.اسرع ..... ، وتم (الاستيلاء) على طاربيصو Tarbisu ، وهي ضاحية من ضواحي نينوى .....
٢٦.ثم واصل تقدمه نزولا مع شاطئ دجلة ، وفرض طوقا على مدينة آشور ثم هجم عليها .....
٢٧.دمر (المدينة) وقضى على ابرز زعمائها بقسوة كما جلب منها اسرى وقام بنهبها
٢٨.لم يكن مجيء الملك البابلي بقواته متزامنا مع موعد الهجوم على آشور لمساندة الميدين
٢٩.والتقى في المدينة [ملك أك] د مع كي [اخسار] . وعقدا معا معاهدة صداقة وتحالف مشترك
٣٠.رجع كي اخسار وجيشه الى بلاده ، ورجع الملك الاكدي بجيشه ايضا الى بلاده .
٣١.وفي السنة الثالثة عشر في شهر ايار اعلن اهالي مدينة Sahu عصيانهم ضد ملك اكد وقاموا بأعمال عدوانية .
٣٢.جمع ملك اكد جيشه وسار الى هذه المدينة . وفي اليوم الرابع من شهر Sivan ، حزيران .
٣٣.شن هجوم على مدينة Rahilu الواقعة وسط الفرات. وفي ذلك اليوم تمت السيطرة على المدينة .
٣٤.بنى ..... ، وجلب الحجر من شاطئ الفرات ، وحاصر (؟)
٣٥..... [ضد] وعسكر حول مدينة Anatu ، ..... آلات تدمير الأسوار من الجهة الغربية .
٣٦..... وجلب آلات لتدمير سور المدينة وشن هجوم عليها ولكنه لم يستولي عليها .
٣٧.فجهز ... [ملك بلاد آشور] جيشه وتحرك الى هناك فرجع ملك اكد بجيشه إلى بلاده .

أما الوجه الثاني من اللوح (القفا) Reverse فيزودنا بهذه المعلومات :

٣٨.[في السنة الرابعة عشر] تحشد ملك أكد ... وبالمقابل ... رجال ملك Umman – Manda ، لمواجهة الملك الاكدي .
٣٩.... فالتقى الطرفان وجها لوجه .
٤٠.... ملك اكد و (كي اخسار) ... فقرر عبور ...
٤١.فتحركا بقواتهما مع شاطئ نهر دجلة ... نحو نينوى ... وهم ...
٤٢.من شهر Sivan الى شهر Ab ... ثلاث معارك (؟) ...
٤٣.وشن الطرفان هجوما كبيرا على نينوى ، وفي شهر آب (في اليوم ... تمت السيطرة على المدينة) ... وقد هلك جمع غفير من زعمائها .
٤٤.وفي الوقت نفسه ... ملك بلاد اشور سن – شار – اشكون .
٤٥.وقد سلبوا من المدينة غنيمة كبيرة لا تحصى (وحولوا) المدينة الى ركام وخرائب ...
٤٦.وقد هرب الملك الآشوري امام هذا الهجوم ... ؟ قوات الملك الاكدي ... ؟ ...
٤٧.وفي العشرين من شهر ايلول عاد كي اخسار بجيشه الى بلاده ، كما رجع ملك أكد ...
٤٨.وواصلوا المسير إلى مدينة Nisibis ، ... الاسرى والعبيد
٤٩.من بلدة Rusapu الى نينوى امام الملك الاكدي في شهر ... (اشور ابلط)
٥٠.ملكا في مدينة حران حتى شهر ...
٥١.في نينوى ... في العشرين من شهر ... الملك ...
٥٢.وفي شهر تشرين ... في مدينة
٥٣.في السنة الخامسة عشر من شهر تموز ... ملك اكد ...
٥٤.تحرك الى بلاد اشور ... مزهوا بنصره ... جيش بلدة Hazzu ...
٥٥.في بلدة Shu ؟(؟) فانتصروا وجلبوا عددا منهم اسرى، اما الغنيمة فكانت لا تعد ولا تحصى .
٥٦.في شهر Marches wan وجه ملك اكد جيشه الى مدينة Rugguliti ...
٥٧.هجم على المدينة ، وفي اليوم الثامن والعشرين من نفس الشهر استولى عليها ... ولا احد ... عاد (إلى) (بلاده).
٥٨.في السنة السادسة عشر ، في شهر ايار حشد ملك اكد جيشه وتحرك الى بلاد اشور . ومن شهر ايار الى شهر Marches wan .
٥٩.وكانوا يتحركون فخورين بنصرهم في بلاد اشور ...
٦٠.لمساعدة ملك اكد فوحد الطرفان جيشيهما وتحركا ضد الملك الاشوري اشور (ابلط) الذي توج نفسه ملكا في حران .
٦١.فشعر الملك الاشوري المذكور ومعه جيش بلدة ... الذي جاء لمساعدته بالخوف من العدو القادم عليهم .
٦٢.فتركوا المدينة ... وعبروا ...
٦٣.فوصل ملك أكد إلى مدينة حران ... وتم الاستيلاء عليها.
٦٤.وكانت الغنيمة منها بكمية لا تحصى . وفي شهر آذار ...
٦٥.ثم عاد إلى بلاده اما Umman – Manda الذين جاءوا لمساعدة ملك أكد ...؟
٦٦.وفي شهر تموز عبر ملك آشور ومعه جيش كبير من المصريين.
٦٧.النهر قاصدا مدينة حران لاسترجاعها ...
٦٨.فأرسل ملك أكد فرقة عسكرية إلى هناك . فالقي القبض عليهم وتم ذبحهم.

٦٩.ثم بقى حتى شهر أيلول يشن الهجمات على المدينة لكنه لم (ينجح) ولم يسيطر عليها.

٧٠.فعاد الملك الاكدي لمساعدة قواته في مدينة حران ... ثم تقدم إلى بلدة Izalla(؟) فغادر . ولا نعلم لماذا دُعي بملك اكد سيما ان الحملة قادها الملك البابلي نبو بلاصر ، الا اذا افترضنا انه يقصد حاكم بلاد اكد تمييزا لها عن بلاد سومر في جنوب العراق ، وذلك لقرب مدينة اكد من بابل .

خاتمة البحث:

بعد أن انهينا عرض محاور هذا البحث التي ابتدأناها بتتبع المشاكل والأحداث التاريخية التي عصفت ببلاد آشور في عهدها الاخير ، وتطرقنا بعدها الى الروايات والنصوص التوراتية المشار اليها في ثنايا هذا البحث ، ونوهنا ايضا الى بعض النصوص والروايات التي تخص بحثنا في مصادرنا الاسلامية وانتهينا مع ما حفظته لنا مكتبتنا المسمارية من مدونات قيمة تخص مرحلة ما قبل وما بعد سقوط نينوى ، وجدنا من الضروري ان نختم هذا الجهد المتواضع بالاشارة الى اهم ما خلصت اليه هذه الدراسة ومن بينها :

- تعرضت بلاد اشور في عهدها الاخير الى مشاكل جمة قادت الى هذا التدهور السريع والمفاجئ نتيجة للحروب الطويلة الدامية في الداخل والخارج ناهيك عن الصراع المحتدم على العرش بين الحكام انفسهم .
- لمسنا عدم وجود تطابق في الرؤى والتفاصيل في اسفار التوراة من نسخة الى اخرى حول طبيعة ومجريات الوقائع التاريخية ومنها سقوط نينوى . كما انها لم تشاطر الوثائق البابلية في طريقة عرضها للمأساة التاريخية التي حلت بنينوى ، وذلك لان الاسفار التي تناولناها في البحث لم تدون في مرحلة تاريخية واحدة ولا بأسلوب واحد .
- مجازفة كتاب التوراة بالتحدث على لسان الرب تارة وعلى لسان انبياء اليهود تارة اخرى بأسلوب ديني تاريخي محترف .
- لم يكن اللوح التاريخي الذي حفظ لنا احداث التاريخ البابلي المعاصر لتلك الاحداث (٦١٦ – ٦٠٩ ق . م) مكتملا وذلك لوجود فجوات في النص تبعا للتصدع والتهشم الحاصل في اللوح . مما جعل المختصين بالدراسات المسمارية يبدعون في حشو ما فيه من ثغرات ، ومع ذلك ففيه معلومات غاية في الاهمية .
- فقدت النصوص الآشورية تفاصيل مهمة تتعلق بالسنوات ألاثني عشر الأخيرة التي أعقبت حكم الملك آشور بانيبال رغم كونها تعد من المراحل الحساسة من عمر الإمبراطورية الآشورية .
- تطابقت روايات سفر يونان الى حد ما عن سقوط نينوى في كثير من أبعادها التاريخية مع قصة النبي يونس عليه السلام التي استقيناها من مصادرنا الإسلامية ومن أهمها القرآن الكريم وكتب التفسير والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام .
- رسم المشرع التوراتي صورة مأساوية عن سقوط نينوى تجاوزت حدود المعقول للنيل من كرامة الآشوريين ومجدهم والاستهانة بعاصمتهم ، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال إدخاله عبارات أو كلمات ليست لها صلة بالحادثة المذكورة ومن بينها : الزنى ، العورة ، من يرثي لها ، من أين اطلب لك معزين ، سقمت عظامك فلا جبر لها ... وغير ذلك . مما يدل على أن هناك ما يشبه الراوي التاريخي الذي وضع نفسه وسيطا او (وحيا) بين أنبياء بني إسرائيل وإلههم (يهوه) .

هوامش البحث

(١). اتخذ الآشوريون عواصم عدة وهي : آشور ، كالح (نمرود) ، ونينوى وخرسباد (دور شروكين) . ولكن بقيت نينوى العاصمة السياسية للمدة من ٧٠٤– ٦١٢ ق . م . ومن ابرز معالمها تلال قوينجق في الشمال وتل النبي يونس في جنوب المدينة . عن هذه المدينة وآثارها ينظر :
بشور ، امل ميخائيل ، الإمبراطوريات السامية في بابل وآشور ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس – لبنان ٢٠٠٨ ، ص ١٧٨ – ١٨١ ، سليمان عامر ، العراق في التاريخ القديم ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٩٣ ، ص ٣٨٣ – ٣٨٤ ، سعد الله ، محمد علي ، العراق ، سورية ، آسية الصغرى ، دراسة تاريخية وحضارية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٤ ، ص ١٨٣.

(٢). ولمعرفة المزيد عن الأحداث التي رافقت السنوات الأخيرة من عمر الإمبراطورية الآشورية راجع: بشور ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ وما بعدها ، الصالحي ، رافد كاظم كريدي ، حقيقة الوقائع التاريخية بين عرض التوراة ومعالجة النصوص العراقية القديمة ، رسالة ماجستير ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، ١٩٩٩ ، وتحديدا الفصلين الثاني والثالث ، ص ٥٣ – ١٣٠ ، والمحور الثالث من هذه الدراسة . See : Oppenhiem , L . ANET , P . 169 , باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٦، ص ٥٢٦ – ٥٢٧ .

(٣). انظر باقر ، طه ، المصدر السابق ، نفس الصفحتين ، رو ، جورج ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، (بغداد ، ١٩٨٤) ، ص ٤٤٤ .
حران : هي مدينة اورفة ، ويعرف موقعها اليوم بأسم " اسكي – حران " أي حران القديمة وتقع الى الجنوب من تركيا . وعثر فيها على مسلتين للملك البابلي نبو نائيد (٥٥٥ – ٥٣٩ ق.م) . للمزيد ينظر : الاحمد ، سامي سعيد ، تاريخ فلسطين القديم ، جامعة بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١٣ ، فاضل ، عبدالوهاب ، (حران ومدرستها) ، مجلة بين النهرين ، العدد ٣٩ – ٤٠ ، الموصل ، ١٩٨٢ ، ص ٢٣١ .

(٤). ينظر Grayson , A.K. , Assyrian and Babylonian Chronicles , ed. L. Oppenhiem , Vol. 5 . New York , 1975 , P. 10 F .
الأحمد ، المصدر السابق ، ص ١٣ وما بعدها .

(٥). راجع تطور هذه الأحداث في : الأحمد ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ – ٢٣٣ ، باقر ، طه ، علاقات العراق القديم ، سومر ، ٤ ، (بغداد ، ١٩٤٨) ، ص ٩٦ .

(٦). بشور ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ وما بعدها .

(٧). عن وصول الملك سين – شار – اشكون الى العرش ينظر :
J. Reade," The Accession of Sinsharishkun",J.C.S.,23,(1970) , P. 1 – 9 .

(٨). عن وصول هؤلاء السيشيين (الاشقونين ، الاشكوزيين في المصادر العربية) ، القادمين من المناطق الجبلية الشرقية من آسيا ، ينظر : كونتينو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ٢١ .

(٩). راجع هذه الوثائق التي نشرت في المصادر الآتية :
Gadd , The Fall of Nineveh , the Newly Discovered Babylonian Chronicles , London , 1923 , P . 26 ,
Wiseman , Chronicles of Chaldean Kings (626 – 556 B.C.).
London , 1956 , P. 45 .
Grayson , A. K , Op .cit , PP. 18 -1 19 .

(١٠). سفر اشعيا / ١٠ : ١ .
(١١). نفس المصدر / ١٠ : ١٦ – ١٩ .
(١٢). نفس المصدر / ١١ : ١١ – ١٢ .
(١٣). سفر يونان / ١ : ١ – ٤ ، ثم تابع تكملة قصة المعصية في هذا الإصحاح ، الآيات : ٥ – ١٧ .
(١٤). نفس المصدر / ٢ : ١ – ١٠ .
(١٥). نفس المصدر / ٣ : ١ – ٥ .
(١٦). نفس المصدر / ٣ : ٦ – ١٠
(١٧). نفس المصدر / ٤ : ١ – ١١ .
(١٨). سورة الأنبياء : الآية : ٨٧ .

(١٩). سورة الصافات : الآية : ١٤١ .
(٢٠). سورة الأنبياء : الآية ٨٧ ، وانظر أيضا ، الجزائري ، نعمة الله ، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين حول تفسير سورة يونس ، الآية ٩٨ ، نقلا عن تفسير القمي ، ج ١ ، ص ٣١٧ – ٣١٩ . وانظر تفسير القرآن الكريم للعلامة المحقق السيد عبدالله شبر ، دار أحياء التراث العربي (بيروت ، ٢٠٠٧)، ص ٣٧٨ – ٣٧٩ .
(٢١). عن هذه الروايات راجع : الجزائري ، المصدر السابق ، ص ٤٠٠ – ٤٠٢ .
(٢٢). سفر ناحوم / ١ : ١ .
(٢٣). نفس المصدر / ١ : ١٢ – ١٣ .
(٢٤). نفس المصدر / ١ : ١٥ .
(٢٥). نفس المصدر / ٢ : ١ – ٣ .
(٢٦). نفس المصدر / ٢ : ٨ – ١٤ .
(٢٧). نفس المصدر / ٣ : ١ – ٣ . وانظر الصالحي ، المصدر السابق ، ص ١٠٨.
(٢٨). سفر ناحوم / ٣ : ١ – ٤ .
(٢٩). نفس المصدر / ٣ : ٦ – ٧ .
(٣٠). عن المكتبة الشهيرة للملك اشور بانيبال ينظر : A.H. , Layard , Nineveh and its Remain , 2 Vols . (London , 1884) ,
اما عن ابرز الاحداث التي عاصرت هذا الملك ينظر : رو ، جورج ، العراق القديم ، مصدر سابق ، ص ٤٣٩ ، ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ترجمة وتعليق عامر سليمان ، الموصل ، ١٩٧٩ ، ص ١٥٨ ، باقر ، طه ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص ٥٥٥ ، الصالحي ، مصدر سابق ، الفصلين الثاني والثالث .
(٣١). Oppenhien ANET , PP . 294 – 295.
(٣٢). Bowman , Raymand , A. JNES , 2 , p.76 .
(٣٣). سفر ناحوم / ٣ : ٨ – ١٠ .
(٣٤). نفس المصدر / ٣ : ١١ .
(٣٥). نفس المصدر / ٣ : ١٣ – ١٦ .
(٣٦). نفس المصدر / ٣ : ١٩ .
(٣٧). سفر صفنيا / ١ : ١ . علما أن حكم يوشيا بن أمون امتد من ٦٤٠ – ٦٠٩ ق.م وقد قتل على يد الفرعون نيخو الثاني بن بسماتك الأول في موقعة مجيدو الواقعة جنوب شرق مدينة حيفا الساحلية . راجع : السواح ، فراس ، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ، ط ٢ ، دمشق ، ١٩٩٣ ، ص ١٦٧ – ١٧٠ .
(٣٨). سفر صفنيا / ٢ : ٤ – ١٢ .
(٣٩). نفس المصدر / ٢ : ١٣ – ١٥ ، علما أن هذا النص لا يتطابق كليا مع النص الذي تقدمه النسخة التوراتية المطبوعة سنة ١٩٧٠ .
(٤٠). أنظر:. Grayson , A. K , Op . cit . PP 18 – 22 , (chronicle : 3). Gadd , Op.cit. , P. 37 – 41 لأن المصدر الأخير يغطي المدة المحصورة ما بين ٦١٦ – ٦٠٩ ق . م
(٤١). الصالحي ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ وما بعدها . Saggs , H . W . F. The Might that was Assyria , London , 1984, P . 119 .
(٤٢). Grayson , A.K . Op . cit , P . 19 F
(٤٣). ولمتابعة هذه النصوص والتحقق منها ينظر : Grayson , A. K , Op . Gadd Op . cit . , PP . 37 – 41 cit . PP 18 – 22.

Abstract

The Tragedy of Nineveh:
A historical study in the light of the Biblical accounts

and the Cuneiform Texts

This Study aims at tracing the accounts of the Old Testament (Bible) concerning the tragedy of Nineveh during its fall in 612 B.C , When the Medes and chaldeans captured this city and plundered it . We made a comparison , as well , between these accounts and the Cuneiform texts showing the difference and correspondence . We divided this subject into three sections , preceded by a preface and ended with an abstract . The first is the preface , the second was assigned for the Biblical texts and the last one for presenting the Cuneiform texts from the year 616 – 609 B.C .